كان صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر فزع الى الصلاة ثم عين له الاوقات بقوله
تعالى لدلوك الشمس وفي هذه اللام قولان احدهما انها بمعنى بعد اي بعد
دلوك الشمس ومثله قوله متمم • فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم
نبت ليلة معا • والثاني انها على بابها لانها انما تجب بدلوك بزوال الشمس
والدلوك مصدر دلكت الشمس وفيه اقوال احدها انه الزوال وهو قول
ابن عباس وابن عمر وجابر واكثر التابعين ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقول اهل اللغة معنى
الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف النهار
دالكة والثاني انه الغروب وهو قول ابن مسعود ونقله الواحدي في البسيط
عن علي رضي الله تعالى عنه وبه قال ابراهيم النخعي والضحاك والسدي
وهو اختيار الفرا وكما يقال للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة يقال لها
ايضا اذا غربت دالكة لانها في الحالين زائلة قال الازهري والثالث انه
من الزوال الى الغروب وقال في القاموس دلكت الشمس غربت او اصفرت
او مالت او زالت عن كبد السما فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر
والعصر والمغرب من استعمال المشترك في معانيه اما في الظهر والمغرب
فواضح لما مر واما العصر فلان اول وقتها اول اخذ الشمس في الاصفرار
واد ل دليل على ذلك انه تعالى غيا الاقامة لوقت العشا بقوله تعالى
الى غسق الليل اي ظلمته وهو وقت صلاة عشا الاخرة والغاية
ايضا هنا داخلة لما سيأتي وقد اجمعوا على ان المراد من قوله تعالى وقران
الفجر اي صلاة الصبح وهو منصوب قيل على الاغرا وعليك بقران
الفجر ورد بان اسما الافعال لا تعمل مضمرة وقال الفرا انه منصوب
بالعطف على الصلاة في قوله تعالى اقم الصلاة واقم قران الفجر وحينئذ
تدخل الصلوات الخمس في هذه الاية قال ابن عادل كالرازي وحمل
كلام الله على ما يكون اكثر فائدة اولى انتهى وسميت صلاة الصبح قرانا لاشتمالها
عليه وان كانت بقية الصلوات ايضا مشتملة عليه لانه يطول فيها
في القراءة ما لا يطول في غيرها فالمقصود من قوله تعالى وقران الفجر
الحث على طول القراءة فيها اكثر من غيرها لان التخصيص بالذكر
يدل على كونه اكمل من غيره ولما كان القيام من المنام يشق على الطبع
مظهرا غير مضمر لان المقام مقام تعظيم فقال ان قران الفجر كان مشهودا
اي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هولا ويصعد هولا فهو
في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار قال الرازي ثم ان ملائكة الليل
اذا اصعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة
النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى لملائكته

اشهدوا

عضا طريا محفوظا لم يطرا عليه طاري فليس فيه من تحريف ولا تبديل كما وقع
في كتاب اليهود الذين سالهم قومك ثم قال تعالى وما ارسلناك يا افضل الخلق
بما لنا من العظمة الا مبشرا للمطيع ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التبشير والانذار لا ما يقترحونه عليك من المعجزات فان قبلوا الدين الحق انتفعوا
فيه والا فليس عليك من كفرهم بشيء ثم ان الله تعالى اخبر ان الحكمة في انزال القران
مفرقا بقوله وقرانا اي وفصلناه او وانزلناه قرانا فرقناه اي انزلناه
منجما في اوقات متطاولة قال سعيد بن جبير نزل القران كله ليلة القدر
من السما العليا الى السما السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة
كان بين اوله واخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى
قطعناه اية اية وسورة سورة ولم ينزل جملة لتقراه على الناس اي عامة
على مكث اي على مهل وتؤدة ليفهموه ونزلناه من عندنا بما لنا من
العظمة تنزيلا بعضه اثر بعض مفرقا بحسب الوقائع لانه انفع في
فضلها واعون على الفهم لطول التامل لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين
لغرابة ما فيه من المعاني ثم ان الله تعالى هدد وهم على نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى قل لهولا المضلين امنوا به اي القران او لا تومنوا
فالايمان به غير محتاج اليكم ولا موقوف عليكم لانكم ان امنتم به كان الحظ
لكم والا لم تضروا الا انفسكم فاختاروا ما تريدون فان ايمانكم بالقران
لا يزيده كمالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصانا وقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم
من قبله اي من قبل انزاله ممن امن به من بني اسرايل تعليل له اي ان لم
تومنوا به وانتم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منكم وافضل وهم العلما
الذين قروا الكتب وعلموا ما اوحي وما الشرايع قد امنوا به وصدقوه وثبت
عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم اذا يتلى عليهم اي القران يخرون
للاذقان سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن
سلام قال الزجاج الذقن مجمع اللحيين ولا يبتدي الانسان بالخرور
الى السجود فاقرب الاشيا من وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية
عن اللحا والانسان اذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ربما
مسح لحيته على التراب فان اللحية يبالغ في تنظيفها فاذا عفرها الانسان
بالتراب في حوض المبالغة فقد اتى بغاية التعظيم وقيل ان الانسان اذا
استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض في معرض السجود
كالمغشي عليه فيكون حينئذ خروره على الذقن فقوله يخرون للاذقان
كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته فان قيل لم قال يخرون للاذقان سجدا
ولم يقل على الاذقان يسجدون اجيب بان المقصود من هذا اللفظ
مسارعتهم الى ذلك حتى كانهم يسقطون فان قيل لم قال يخرون

Copyright © King Saud University